



CODESRIA



CODESRIA

13

ḡmḡ

Assemblée générale
General Assembly
Assembleia Geral
الجمع العام الثالث عشر

L'Afrique et les défis du XXIème siècle
Africa and the Challenges of the Twenty First Century
A África e os desafios do Século XXI
إفريقيا وتحديات القرن الواحد والعشرين

**VERSION PROVISOIRE
NE PAS CITER**

Mohamed Naim

5 - 9 / 12 / 2011

Rabat Maroc / Morocco

ندوة حول

عنوان المداخلة : دينامية الهجرة الدولية بالمغرب

من اعداد : محمد نعيم، استاذ باحث، الكلية المتعددة – اسفي.

مقدمة

يعرف العالم اليوم، تحت تأثير العولمة، تحولات وتغيرات سريعة وفجائية. هذه التحولات هي نتيجة تطور العلاقات والاتصالات بين الاشخاص، وبين النظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وكذا العلاقات بين مختلف المجالات الترابية على مستوى الكرة الارضية. وتعد الهجرة من بين اهم التحولات التي تميز هذه الحقبة من تاريخ البشرية. فالحقيقة تفرض نفسها، وصفة المهاجر، الشرعي او غير الشرعي، العابر للحدود، طالب للجوء السياسي هي مؤشر العولمة الراهنة. تبرز الهجرات العديد من التناقضات والمفارقات التي تطبع العولمة الحالية، بين الرغبة القوية في التنقل والغاء الحواجز التي تمنع وتعيق تنقل الاشخاص بين مختلف دول المعمور والحصار المفروض على سكان الدول الفقيرة. هذه المفارقة تتجلى في تعزيز وتقوية الترتيبات والترسانة القانونية والتكنولوجية من طرف العديد من الدول، وخاصة دول الشمال للتصدي لاية محاولة دخول مهاجرين جدد. انطلاقا من هذه الاجراءات، نحن اليوم في ظل السياسة الحمائية التي لم يسبق ان عرفها تاريخ الهجرات البشرية (Simon (G), 2008). في ظل هذه العولمة، تشهد الهجرة الدولية تطورات وتحولات جد ملفتة للنظر على مستويات عدة. فحسب التقديرات الرسمية (2008) للامم المتحدة بلغ عدد المهاجرين في العالم اكثر من 200 مليون شخص، اي 3.3% من مجموع سكان المعمور. 60% من مجموع مهاجري العالم قدمت من دول الجنوب ؛ وتعتبر الدول المتقدمة الوجهة الرئيسية لهؤلاء المهاجرين. كما تعد الدول المتقدمة من ابرز طموحات المترشحين الجدد للهجرة بشقيها القانونية وغير القانونية. على غرار مختلف دول العالم، تعرف الهجرة الدولية بالملكة المغربية تحولات وتغييرات عميقة ومعقدة على مستوى اشكالها وابعادها واتجاهاتها ودوافعها وانعكاساتها. في الوقت الراهن، بلغ عدد المغاربة المقيمين بالخارج حوالي 3 ملايين فرد اي 10% من مجموع سكان المغرب. كما بلغت تحويلات المهاجرين المغربية ما يقارب 5.5 مليار دولار، ويحتل بهذه المبالغ المرتبة العاشرة عالميا، والمرتبة الاولى على الصعيد الافريقي. انها مصدر مهم للعملة الصعبة، تساهم في الحفاظ على توازنات ميزان الاداءات للبلاد، وعنصرا حيويا في انعاش الاقتصاديات المحلية، ومحركا للتنمية. وتجدد الاشارة الى انه منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي – فترة اغلاق الدول الاوروبية التقليدية للهجرة لحدودها امام المترشحين الجدد للهجرة. عرفت الهجرة الدولية المغربية منعطفا غير مسبوق. ومنذ هاته الفترة انطلقت بوادر هذه التحولات التي تتميز بها الهجرة المغربية في وقتنا الحاضر. ونذكر منها، انتقال الهجرة من الهجرة الفردية الى الهجرة الجماعية في اطار التجمع العائلي، وتطور الهجرة الموسمية والهجرة السرية... ويعتبر التجمع العائلي المحرك الاساسي والحاسم في التحولات التي تطبع، في الوقت الراهن، الجالية المغربية المقيمة بالخارج على المستوى البنوية الديمغرافية والمهنية والثقافية. وانطلاقا من العقد الاخير من القرن العشرين بدأت فئات او وجوه جديدة تظهر بشكل جلي في اوساط الجالية المغربية بالخارج، وتكمن في المهاجرين السريين، والمهاجرين ذوي الكفاءات العالية والمهاجرين القاصرين غير المرافقين والنساء العازبات او لوحدهن. العديد من التساؤلات تفرض نفسها : من هم الفاعلين في اطار العولمة الهجروية ؟ ما الخصوصيات الديمغرافية للجالية المغربية ؟ ما هي اهم اتجاهات المهاجرين المغربية ؟

I- اهم محطات الهجرة الدولية بالمغرب

الهجرة الدولية ظاهرة قديمة ارتبطت بالانسان منذ ظهوره، غير ان اشكالها وابعادها واتجاهاتها واسبابها ونتائجها تنوعت وتعددت حسب المراحل التاريخية. واللافت للانتباه، في الوقت الراهن، هو تزايد حدتها وشموليتها وتداخل اتجاهاتها، تحت تأثير العولمة وما افرزته من اعادة هيكلة الانظمة الانتاجية وعلاقات التبادل بين الدول. على العموم يعتبر موضوع الهجرة، قبيل نهاية القرن 20 وفي بداية القرن 21، من المواضيع الحساسة والساخنة في العالم.

عرفت ظاهرة الهجرة الدولية، منذ بداية التسعينات من القرن 20، تطورا سريعا، هذه الحركات الهجرية تتحول وتتوجه انطلاقا من مجموعة من التحولات التي يشهدها المجتمع. لقد ساهمت العديد من العوامل في هجرة الاشخاص عبر مختلف ارجاء المعمور، نذكر منها الانتقال بشكل سريع للصور والمعلومات، حدة الفوارق بين دول الشمال ودول الجنوب، والكوارث الطبيعية، والحروب الاهلية، وتقدم كبير في مجال وسائل النقل والاتصال. هذه التيارات الهجرية المكثفة تعزى الى عوامل جد متنوعة وجد معقدة. في بعض الاحيان تكون العوامل التي لعبت الدور الحاسم في اتخاذ قرار الهجرة او المغادرة لم تكن واضحة. يبدو ان اخذ قرار الذهاب الهجرة نحو الخارج لا يكون نتيجة عامل او عوامل واضحة وملموسة وقابلة للتشخيص بل قد تكون وراءها عوامل رمزية اتية من تخيلات فردية والمعبرة عنها بشكل لا شعوري (Barchet (J), 2007).

لقد عرف المغرب الهجرة الدولية منذ قرون، الا انها لم تشهد تطورات وتغييرات مثيرة للانتباه الا منذ فجر الاستقلال. حيث عرفت تطورا تصاعديا مستمرا من الستينات الى يومنا هذا، والارقام تؤكد ذلك في مختلف المحطات التاريخية. في بلغ عدد المهاجرين المغربية في فرنسا حوالي 53000 شخص، وفي سنة 1973 وصل عدد المهاجرين 553000 مهاجر (2.7% من مجموع سكان المغرب في تلك الفترة). وفي سنة 1988 وصل عدد المهاجرين الى 1.2 مليون مهاجر ، وفي سنة 1995 بلغ عدد المهاجرين مليون 1.9، وفي 2002، بلغ عدد المهاجرين المغربية بالخارج 2.6 مليون شخص، وفي 2007 بلغ عدد المهاجرين المقيمين بالخارج حوالي 3 ملايين شخص اي 10% من مجموع سكان المغرب. (مؤسسة الحسن الثاني للجالية المغربية بالخارج).

هذا التطور العددي السريع جعل من المغرب من بين اهم الاحواض الهجرية على الصعيد الافريقي وكذا العالم العربي. وقد كانت وراءه هذا التطور العديد من العوامل (داخلية وخارجية)، الا انها تختلف من حقبة تاريخية الى اخرى، ونميز بين اهم المراحل التي طبعت تاريخ الهجرة الدولية المغربية :

1- مرحلة ما قبل الحماية : قلة الدراسات والاحصائيات حول الهجرة

ساهم الموقع الاستراتيجي للمغرب في ربط علاقات اقتصادية وسياسية مع جميع الدول المجاورة خلال كل الحقب التاريخية، مما ادى الى تبلور تيارات هجرية مغربية متباينة الاتجاهات، وذلك في اتجاه دول افريقيا جنوب الصحراء والدول العربية والاوربية. وما يؤكد قدم ظاهرة الهجرة الدولية بالمغرب تواجد المغاربة بدول افريقيا جنوب الصحراء وبدول شمال افريقيا، في هذا الصدد حسب تقديرات فان 64000 مغربي هاجروا الى الجزائر خلال فترة 1878-1882. (L. Lassonde, 1981). ويقول روجي لوطورنو ان الجالية الفاسية في اواخر القرن 19 م ، اضحت حاضرة بكل من "الجزائر وخاصة بعمالة وهران موزعين في مراكز عديدة كبيرة وصغيرة... وكذلك كانوا في السنغال موزعين في مدن وقرى من سان لوي الى تنبوكتو مع مواطنين قادمين من مختلف جهات المغرب". (روجي لوطورنو 1986). كما عرفت "مصر وجود مكثف لهؤلاء التجار خصوصا بالقاهرة اذ وصل عددهم زهاء 1200 شخص سنة 1898م". (روجي لوطورنو 1986). لكن ما يميزها هو هجرة فئة من التجار مصر ودول افريقيا جنوب الصحراء (كالسينغال وساحل العاج)، وانجلترا وفرنسا وجبل طارق في نهاية القرن 19. يقول محمد حمجيق ان مدينة فاس "كانت مركزا

تجاريا وصناعيا مهما، مما جعل الهجرة الخارجية هجرة انتقائية همت بالدرجة الاولى كبار التجار الذين يبحثون عن اسواق جديدة لترويج السلع المحلية، واستيراد السلع المفقودة في الاسواق المغربية". (محمد حمجيق 2008) .

2- مرحلة الحماية : تيارات هجرية متذبذبة ومحدودة مجاليا

خلال فترة الحماية توجه العديد من العمال المغاربة نحو فرنسا للاشتغال. فحسب دوفيلار كان عدد العمال المغاربة بفرنسا خلال الحرب العالمية الاولى يتراوح ما بين 15000 و20000 عامل، وهؤلاء العمال المهاجرين كانوا يشتغلون في القطاع الصناعي والفلاحي، بالخصوص، لتعويض الفرنسيين المجندين اثناء الحرب. ولكن بمجرد انتهاء رجع العديد من هؤلاء الى المغرب. وخلال العشرينيات من القرن 20 استؤنفت الحركات الهجرية نحو فرنسا، حيث بلغ عددهم 21000 في سنة 1929. وفي 1931 تراجع عدد المهاجرين لم يبلغ سوى 13000 فقط، هذا التراجع مرتبط بالازمة الاقتصادية التي عصفت بفرنسا انداك. ولضمان تزويد فرنسا باليد العاملة المغربية، قامت الحكومة الفرنسية بانشاء مصلحة الهجرة في 13 يوليوز 1938. وقد وضعت فرنسا هذه المصلحة تحت وصاية الامانة العامة للحماية التي كلفت لعقد الاتفاقات مع ارباب العمل الفرنسيين، وتأمين اتجاه المغاربة نحو فرنسا. وتعتبر منطقة سوس، من اول المناطق المغربية التي زودت اغلب افواج المهاجرين المتوجهة نحو فرنسا. ولكن منذ نهاية عقد الثلاثينات من القرن الماضي، ظهرت احواض هجرية جديدة، وتكمن في المغرب الشرقي وجنوب شرق البلاد. جل المهاجرين المنحدرين من هذه المناطق توجهوا نحو الجزائر التي كانت في ذلك الوقت خاضعة للاستعمار الفرنسي.

جدول رقم 1: الاصلي الجغرافي للمهاجرين المغاربة الموسمين نحو الجزائر (1938)

المناطق	العدد
منطقة وجدة	35000
منطقة تازة	20000
منطقة تافيلالت	20000
منطقة ورزازات	6500
منطقة تخوم درعة	3000

المصدر : عبد الله البارودي، 1978

وتجدر الاشارة الى ان الهجرة خلال هذه الحقبة التاريخية تميزت بالتذبذب، ويعزى الى الظرفية الاقتصادية والسياسية التي عرفها المغرب وفرنسا على سبيل المثال لا الحصر، خلال الفترة التي عرفت فيها حركة المقاومة المغربية تصعيدا ضد المستعمر الفرنسي لوحظ تراجع كبير في وتيرة الهجرة المغربية نحو فرنسا. ما طبع الحركات الهجرية المغربية انذاك يكمن في انفراد فرنسا ومستعمرتها الجزائر في استقطاب للعمال المغاربة من جهة، كانت مكونة من عمال كلهم ذكور من جهة اخرى.

الى جانب الهجرة القانونية كانت الهجرة السرية نشيطة في اتجاه فرنسا ومستعمرتها الجزائر، في هذا الصدد يقول محمد حمجيق "كانت الهجرة الموسمية الى الجزائر تتم بطريقتين، هجرة قانونية منظمة، حيث يحصل المهاجرون على رخص المرور وجوازات السفر، وهجرة سرية، حيث كان الراغبون في الهجرة الى الجزائر يجتازون واد ملوية سباحة، لان المراقبة كانت صارمة عند جسر ملوية. وكان الهدف من هذه المراقبة هو محاولة التحكم في الهجرة والحد من الهجرة غير القانونية" (محمد حمجيق، 2008). ونشير الى انه ابان المرحلة الاستعمارية لم تكن السلطات الفرنسية متشددة مع المهاجرين السريين، بل هناك تساهل وتسامح، نظرا للخصائص الكبير الذي يعاينه سوق الشغل الفرنسي، حيث سوت الوضعية غير القانونية لكل العمال الذين هاجروا بوسائلهم الخاصة والذين وجدوا عملا.

3- مرحلة 1956-1975 : تطور سريع للحركات الهجرية وتنوع دول الإقامة

ارتبط تطور الهجرة المغربية الى فرنسا في مرحلة اولى، ابتداء من 1960، بالظرف الاقتصادي الفرنسي الخاضع بدوره لعدد معين من العوامل من الاحداث السياسية التي حصلت في فرنسا منذ عام 1958 (فشل انقلاب 13 مايو العسكري وعودة ديغول الى السلطة، وحرب التحرير الجزائرية التي كانت اوشكت على نهايته في بداية الستينات). وتعتبر فترة 1965-1975 من المراحل التي وصلت فيها الهجرة الدولية اوجها من حيث عدد الاشخاص الذين غادروا المغرب في اتجاه الخارج، وبالضبط في اتجاه اوربا الغربية. نظرا للخصائص الكبير من حيث اليد العاملة في مختلف القطاعات الاقتصادية والبنيات التحتية بعد الدمار الذي لحقهم بسبب الحرب العالمية الثانية، لجأت العديد من دول اوربا الغربية الى دول اخرى في مختلف مناطق العالم لاستيراد العمال. لذا لضمان التزود من اسواق الشغل خارج بلدانها قامت كل المانيا الاتحادية ، وفرنسا، وبلجيكا، والاراضي المنخفضة بتوقيع اتفاقية مع المغرب حول اليد العاملة ، وذلك في النصف الاول من عقد الستينات من القرن 20.

في الوقت الذي عرفت فيه الهجرة الدولية المغربية تطورا غير مسبوق نحو اوربا بالخصوص منذ 1960، اتجهت افواج اخرى من العمال المغربية نحو بلدان اوربية اخرى. ورغم ذلك، لازالت فرنسا تستحوذ على 67% من مجموع المغاربة بالخارج. ويعزى هذا التركيز الكبير للجالية المغربية في فرنسا، بالعلاقات التاريخية، وكذا تواجد لقاعدة اساسية من المهاجرين بها. هؤلاء المهاجرين ساهموا بشكل مباشر او غير مباشر في تشجيع ومساعدة المترشحين الجدد للهجرة، ما يطلق عليه ب"الهجرة تولد الهجرة".

جدول رقم 2: توزيع العمال المغربية في البلدان الاوروبية (1973)

البلد	السنة
فرنسا	370000
بلجيكا	60000
هولندا	45000
اسبانيا	50000
المانيا الاتحادية	25000
جبل طارق	3000
المجموع	553000

المصدر : عبد الله البارودي، 1978.

ولكن سرعان ما عصفت ازمة النفط (1973) التي ضربت مختلف دول العالم ، مما ادى الى شلل اقتصادي، في هذا الصدد يقول عبد الله البارودي تميزت فترة 1973-1975 بـ "ركود اقتصادي بسبب ما يسمى بأزمة الطاقة المرتبطة بدورها في مرحلة اولى على الاقل، بالتغيير الجذري التاريخي لسوق الطاقة الامريكية، وبالتالي ارتفاع في اسعار بعض انواع المواد الاولية. انهيار النظام المالي القديم الذي وما زال يسيطر عليه الدولار سيطرة تامة. دفعة تضخمية ميزت الاقتصادية الفرنسية. خلل في الميزان التجاري الفرنسي، وصعوبات واجهت بعض القطاعات الحيوية (السيارات مثلا في صادراتها، على اثر انخفاض قيمة الدولار، وارتفاع اسعار المواد الاولية، صعود معدل البطالة. من هنا تأتي اسباب وضع القيود الصارمة على دخول الشغيلة الاجانب الى فرنسا. فقد تعززت هذه الاجراءات الشديدة بشكل ملحوظ منذ سنة 1973. من المؤكد ان وضع حالة الركود العام التي تعيشها الرأسمالية منذ عام 1975 ليست بالحالة العرضية، وانما ترجع اسبابها الى وجود ازمة عميقة في النظام". (عبد الله البارودي ، 1978). اثر هذه الازمة، قررت فرنسا والدول الاوربية الاخرى اغلاق حدودها امام المترشحين الجدد للهجرة، هذا قانون لا يسمح الا بالهجرة العائلية. ومنذ ذلك التاريخ، انطلقت عمليات التجمع العائلي في مختلف دول اوربا الغربية.

هذا الحد من هجرة العمال بالخصوص نتج عنه بروز اصناف اخرى من المهاجرين، منها الهجرة العائلية عن طريق التجمع العائلي، الهجرة الموسمية، تطور الهجرة السرية. منذ 1975 ، اصبح التيار الهجروي المغربي يتغذى من عدة اصناف. من هنا بدأت التحولات الجدية على مستوى الهجرة المغربية، حيث انتقلت الهجرة من الهجرة الفردية الى الهجرة الجماعية او العائلية، ومن هجرة الذكور فقط الى مشاركة المرأة المغربية في هذه الحركة الهجروية، ومن هجرة اشخاص في سن العمل الى هجرة جميع الفئات العمرية من كلا الجنسين، ومن هجرة قانونية الى هجرة غير قانونية، ومن هجرة نحو اوربا (جنوب-شمال) الى هجرة نحو الدول العربية (جنوب-جنوب) والى باقي مناطق العالم.

وامام سياسة اغلاق الحدود، بدأ المهاجرون المغاربة يبحثون عن منافذ اخرى، وبالخصوص في اتجاه الدول العربية من جهة، كما ان الحكومة المغربية كانت تبحث بدورها عن اسواق الشغل خارج المغرب للتخفيف من حدة الضغط على سوق الشغل الوطني من جهة ثانية. لذا قامت الحكومة المغربية بابرام عدة اتفاقيات حول اليد العاملة مع بعض الدول العربية، وخاصة المنتجة للبتروال. للاسف الشديد هذه الاتفاقيات بين المغرب والدول العربية يلفها غموض كبير ولا تحترم العقود المبرمة، حيث بمجرد حدوث خلاف سياسي بين البعض من هذه الدول والمغرب تتم عملية ترحيل هؤلاء المهاجرين، على سبيل ما حدث بين المغرب وليبيا في الثمانينات من القرن الماضي.

خلال هذه الفترة كانت تيارات الهجرة مكونة من عمال، وسادت الهجرة الفردية. ولم تقتصر على منطقة سوس، بل بدأت تهم تدريجيا مناطق مختلفة من المغرب بالخصوص الاوساط الريفية الفقيرة. ثم انقلت العدوى الى الاوساط الحضرية. بذلك لم تبقى مقتصرة على المناطق ذات المؤهلات الاقتصادية الضعيفة، وانما مست كذلك المناطق الغنية اقتصاديا. كما ان الهجرة بدأت تهم شينا فشيئا الفئات الاجتماعية، المتوسطة وفي بعض الاحيان الغنية.

3- مرحلة ما بعد 1975 : الاشكال الجديدة للهجرة الدولية المغربية

بعدها قررت دول اوربا الغربية عدم اللجوء الى "استيراد" اليد العاملة الاجنبية، اتخذت عدة اجراءات قانونية وسياسية للحد من دخول واقامة مهاجرين جدد، نتج عن هذا تراجع ملفت للنظر في وتيرة الهجرة القانونية نحو اوربا، حيث انخفض عددهم من 35000 مهاجر سنة 1973 الى 10000 مهاجر سنة 1975، ثم انخفض الى 291 فقط سنة 1982 . وفي 1993 لم يصل عدد العمال المغاربة الذين دخلوا الى فرنسا سوى 356 عامل(المكتب الوطني للهجرة بالمغرب). وفي المقابل ارتفعت عدد عمليات التجمع العائلي من 32000 اسرة ما بين 1963 و1973 الى 235000 اسرة، ما بين 1982 و1990 بمعدل سنوي يقدر بحوالي 12400. (A) Fadloulah (1996).

ومنذ منتصف السبعينات من القرن الماضي ، وعدد المهاجرين المغاربة بالخارج في ارتفاع مستمر. ويفسر هذا التطور العددي بالخصوص بالهجرة العائلية وكذا بارتفاع نسبة الخصوبة عند النساء المغربيات بالخارج ثم الهجرة السرية. فحسب المعهد الوطني للاحصاء والدراسات الاقتصادية بفرنسا، انتقل عدد لمهاجرين المغاربة بفرنسا من 260025 الى 431120 مهاجر في ظرف 7 سنوات (1975-1982). هذا التطور يعزى بالاساس الى التجمع العائلي من جهة، ونسبة الخصوبة المرتفعة عند النساء المغربيات بفرنسا من جهة اخرى، حيث سجلت 89133 حالة زيادة خلال فترة 1975-1982. فحسب نفس، فان الخصوبة لدى النساء المغربيات في المهجر جد مرتفعة، حيث كان عدد الاطفال لكل امرأة مغربية مزادة في المغرب هو 5.8 طفل، ولدى المغربيات المزداة بفرنسا ب 3.5 طفل لكل امرأة.

كما دخل التراب الفرنسي في اطار التجمع العائلي 147938 شخص في ظرف 10 سنوات (1975-1985). منذ تلك الفترة ، بدأت عملية تأنيث الجالية المغربية بالخارج تتخذ اهمية كبيرة. فقد وصلت نسبة الاناث بفرنسا في بداية التسعينات من القرن الماضي الى 43 %. كما وصلت نسبة الاناث في اسبانيا في وسط الجالية المغربية 39% سنة 2009. ونعلم جيدا ان الجالية المقيمة بفرنسا واسبانيا تمثل اكثر من 50 % من مغاربة العالم (حوالي 1.7 مليون مهاجر).

انطلاقا من البنية العمرية عند الجالية المغربية باسبانيا، تمثل فئة اقل من 16 سنة 26% سنة 2009، يعزى هذا الى اهمية التجمع العائلي من جهة، وارتفاع نسبة الخصوبة لدى المرأة المغربية من جهة ثانية. فحسب احصائيات النشرة الاحصائية الاسبانية، تؤكد ان عدد الولادات عند النساء المغربيات باسبانيا يتجاوز بكثير عدد الولادات عند النساء من اصل روماني وعند النساء من اصل اكوادوري، ففي 2009 بلغ عدد الولادات عند النساء المغربيات 25877 في حين لم يتجاوز 8074 طفل عند النساء الرومانيات، و 11799 عند النساء من الاكوادوريات.

جدول رقم 3 : تطور عدد المهاجرين المغاربة المقيمين باوروبا الغربية

الدول	1973	1993	2007
المانيا	25000	85156	130000
بلجيكا	60000	145363	285000
اسبانيا	50000	65847	547000
فرنسا	370000	678917	1131000
ايطاليا	-	91699	379000
الاراضي المنخفضة	45000	164549	278000
باقي دول اوربا	-	8022	87654
المجموع	550000	1239553	2837654

المصدر : عبد اله البارودي، 1978،

-الوزارة الملكة بالجالية المغربية بالخارج.

والملاحظ ان العشرين سنة الاخيرة غيرت من نوعية التيارات، فبعد ان كانت التيارات قانونية ومنظمة، اصبحت في الغالب تلقائية وغير شرعية، تهم الذكور والاثاث والقاصرين. لكن الظاهرة اللافتة للانتباه التي ميزت العقد الاخير من القرن الماضي هي تنامي هجرة الكفاءات العالية. وبموازاة مع هذه التطورات ظهرت دول اقامة جديدة، مع ميل استثنائي نحو دول اوربا الجنوبية. غير ان التدفق المستمر للمغاربة بطريقة غير قانونية فوق التراب الاوربي يطرح عدة مشاكل للمغرب، علما بان المغرب اصبح يعاني بدوره من تدفق الافارقة على اراضيه.

اذن تعرف الهجرة المغربية منعطفا جديدا منذ الربع الاخير من القرن 20 ان على المستوى العددي او على المستوى البنوية السوسيو ديمغرافية والمهنية، الثقافية، وكذا على مستوى علاقة وسلوك المهاجر مع بلده الاصلي او بلد والديه او احدهما ثم مع بلد الاقامة (النزوع نحو الاستقرار النهائي) واخيرا التوزيع الجغرافي للمهاجرين. اتخذت الهجرة المغربية بشكل عام اشكالا جديدة، حيث انتقلت من هجرة فردية مؤقتة تهم الشباب الذكور، الى هجرة عائلية دائمة وشبه نهائية تهم كل الفئات العمرية لكلا الجنسين. وتعرف الهجرة الدولية المغربية حاليا تنوعا كبيرا في اتجاهاتها، وتحولا في محتواها وفي خصائصها الديمغرافية والسوسيواقتصادية.

-II الهجرة الموسمية : خيار لمراقبة الهجرة والحد من الهجرة السرية

عرفت الهجرة الموسمية منذ عقد 1970 تطورا ملحوظا وبشكل مستمر، نظرا لكون بعض القطاعات الاقتصادية في امس الحاجة الى اليد العاملة الاجنبية، وخاصة الفلاحة والسياحة. وقد وصل عدد المهاجرين الموسمين المغاربة الوافدين الذين استقدمتهم فرنسا في الفترة الممتدة ما بين 1972 و1981 الى 126000 (ما معدله 12000 عامل سنويا)، وما بين 1975 و1985، استقدمت ايضا اكثر من 90000 مهاجر موسمي (ما معدله 9000 عامل سنويا). وتجدر الاشارة الى كون كل هؤلاء المهاجرين هم من صنف الذكور.

ومنذ اواسط الثمانينات من القرن الماضي بدأ عدد المهاجرين الموسمين في تراجع، حيث لم يهاجر خلال سنتي 1992 و1993 سوى 10326 مهاجر موسمي، و4744 مهاجر سنة 1995. من هنا نلاحظ ان التراجع كان باكثر من 50% من المعدل السنوي. واستمر هذا التراجع طيلة عقد 1990. ولم تستعد هذه الهجرة الموسمية حيويتها من جديد الا بعد توقيع الاتفاقية الثنائية بين المغرب واسبانيا في 21 يوليوز 2001. عملية اختيار المهاجرين المغاربة يتم بين مختلف ارباب العمل الاسبانيين بتنسيق مع المكتب الوطني لانعاش التشغيل والكفاءات (ANAPEC) منذ عملية التوقيع قامت اسبانيا بدمج العديد من العمال والعمالات المغربية في سوق الشغل الاسباني. اذ بلغ عددهم الى 90905 سنة 2007، و 12000 سنة 2008. ما يميز هذا التيار الهجروي الموسمي عن تيارات 1970 و 1980، كونه مكون من كلا الجنسين، يشكل العنصر النسوي اكثر من 70%. هذا ما يفسر وجود دينامية جديدة داخل الهجرة الدولية المغربية.

كما عرف المغرب كذلك هجرة الكفاءات، وقد شهدت تطورا مستمرا منذ عقد 1990. كانت العديد من العوامل وراء هذا النزيف البشري، منها ما هو محلي (ظروف العمل غير مشجعة، رواتب، ظروف عائلية..) ومنها ما هو خارجي حيث الدول الصناعية بالخصوص تقوم باغراءات وتقديم عروض عمل في الاسواق العالمية، وانتقاء لبعض المهن او الكفاءات التي تنقصها.

-III القرارات المتخذة لتنظيم والحد من الهجرة باوروبا الغربية : ردود فعل المترشحين للهجرة

مسألة الهجرة نحو الخارج ليست بسيطة بالنسبة للمترشحين للهجرة نظرا لسياسة الهجرة المتبعة، خاصة في الدول المتقدمة، حيث تدعو الى فرض هجرة انتقائية. لذا فبعض الهجرات مرغوب فيها والبعض الاخر مرفوض (محمد نعيم، 2010). منذ 1990 والحركات الهجروية غير القانونية في تصاعد مستمر بشكل ملفت للنظر في مختلف ارجاء العالم. وحسب ارقام منظمة الامم المتحدة بلغ عدد المهاجرين السريين سنة 2000 حوالي 30 مليون شخص موزعة على العديد من بلدان العالم. ولكن هذا الرقم بعيد جدا عن الحقيقة، لانه من الصعب جدا معرفة حجم ظاهرة غير خاضعة للمراقبة الرسمية من طرف السلطات. خلال العقد الاول من القرن 21 اصبحت الهجرة السرية تفرض نفسها داخل التيار الهجروي عبر العالم. ان جل ان لم نقل كل الحواجز التي وضعت الدول المتقدمة بالخصوص لتنظيم وتوجيه التيارات الهجروية قد تجاوزت واخترقت بفعل الضغط القوي والاصرار الدائم للمهاجرين السريين (Tadonnet (M), 2007)

العديد من العوامل كانت وراء التطور والتحويلات والتغيرات التي تطبع التيارات الهجروية غير الشرعية عبر العالم، من اهم هذه العوامل وجود شبكات وبنيات تعمل على مساعدة وتشجيع المترشحين للهجرة لتحقيق مشروعهم الهجروي. هذه الشبكات موزعة بين بلدان المغادرة او الانطلاق بلدان العبور وبلدان الوصول. وتعتبر دول الشمال من اغلبية الدول المستهدفة من طرف المترشحين للهجرة. فالمغرب بحكم موقعه الاستراتيجي لعب دورا كبيرا في هجرة العديد من المغاربة بشكل غير قانوني وغير قانوني نحو اوربا.

عرفت الهجرة السرية من المغرب تطورا الى جانب الهجرة القانونية والمنظمة منذ 1960، لكن ما يميز هذه الفترة هو ان مراقبة الحدود للحيلولة دون دخولهم غير متشددة من جهة، ثم ان الدول الغربية تسامحت مع ظاهرة الهجرة السرية آنذاك لأنها في امس الحاجة الى اليد العاملة الاجنبية من جهة اخرى.

لكن منذ ازمة النفط (1973) والدول الاوربية تتخذ اجراءات قانونية وسياسية لتنظيم والحد من الهجرة الرسمية في يوليو 1974. وبسبب تفاقم البطالة وضعف الاجور، اضطر الاف السكان النشيطين والباحثين عن العمل الى تبني سبل وطرق متنوعة لتخطى كل هذه القوانين والترتيبات الامنية للوصول الى احدى دول اوربا. وهكذا، فقد عرفت الهجرة السرية تطورا مستمرا منذ تلك الفترة والى يومنا هذا. وتجدر الاشارة الى ان هذا التيار وصل اوجه خلال عقد التسعينات من القرن 20 وفي بداية الالفية الثالثة، كما تؤكد مجموعة من الارقام اسفله.

امام هذا الزحف غير المسبوق اتخذت الدول الاوربية مجموعة من الاجراءات والتدابير لمواجهة مشكل، منها :

- فرض الدول الاوربية التأشيرة مع بداية الثمانينات، ودول البنلوكس سنة 1983، وفرنسا سنة 1986 واسبانيا وايطاليا سنة 1991.
- توقيع اتفاقية "شنغن" ، ومعاهدة "ماستريخت" التي وضعت مفهوما جديدا للمواطنة واقرت حرمان المهاجرين غير الاوربيين من حق التنقل.
- وضع شروط جديدة للتجمع العائلي.
- تعزيز الترتيبات الامنية في نقط الحدود الاوربية بالخصوص.
- عقد اتفاقيات تهتم ترحيل كل مهاجر سري تم ضبطه فوق التراب الاوربي،
- عقد اتفاقية بين مختلف الدول الاوربية والدول الاصلية للمهاجرين السريين، وكذا دول العبور للتعاون من اجل مكافحة هذه الظاهرة.

ان الشروط القاسية التي وضعتها بلدان الاتحاد الاوربي لتنظيم الهجرة والحد منها ادى الى ظهور شبكات منظمة، اجتهدت في خلق اساليب متنوعة للهجرة غير القانونية ومن بين هذه الاساليب، على سبيل المثال :

- استعارة جوازات السفر وبطاقات اقامة المهاجرين في وضعية قانونية.
- استعارة جوازات السفر الحاملة لتأشيرة الدخول الى تراب الاتحاد الاوربي.
- استعمال بطاقة الإقامة او التأشيرة المزورة.
- الاختباء في اماكن خطيرة داخل الشاحنة او الحافلة او الباكسة...
- قطع مضيق جبل طارق عبر قوارب صغيرة...

بالفعل، استطاع الاف المهاجرين السريين المغاربة بصفة خاصة، والمهاجرين السريين بصفة عامة، الوصول الى الديار الاوربية. وتوالى تدفق هذه الفئة من المهاجرين على مختلف دول اوربا الغربية، مما ادى الى ارتفاع عدد المهاجرين بدون اوراق الإقامة. ومع تكاثر المقيمين في الدول الاوربية في وضعية غير قانونية، ظهرت جمعيات ومنظمات حقوقية تنادي بتسوية وضعية المهاجرين في وضعية هؤلاء. ولقد استعمل المهاجرين مجموعة من الطرق للضغط على الحكومات المعنية للاستجابة لمطالبهم، على سبيل المثال دخول العديد من المهاجرين السريين في سلسلة من الاحتجاجات والاعتصامات للتأثير على الرأي العام. امام هذه الضغوطات شهدت مختلف الدول الاوربية عمليات تسوية وضعية المهاجرين غير القانونيين. فمثلا، سوت فرنسا وضعية المهاجرين غير القانونية سنة (1982) Oitivia (S) ، وهولندا خلال الثمانينات، اكثر من 60000 مهاجر مغربي سوت وضعيته بايطاليا خلال مرحلة 1986-1990 ، في اطار قانون مارتيلي (Loi Marteli). وفي اسبانيا سوت وضعية 110067 مهاجر اجنبي منهم 49089 مغربي (45.6%)، ثم 19634 مهاجر اجنبي باسبانيا منهم 6479 مغربي سنة 1996، ثم 93668 مهاجر اجنبي منهم 436 26 مغربي سنة 2000. وفي 2005 شملت عملية تسوية المهاجرين السريين باسبانيا 60000 مهاجر اجنبي منهم 64477 مغربي. و اخيرا خلال فترة 2006-2009 سوت وضعية 110886 مهاجر اجنبي منهم 18438 مغربي (16.6%)، (النشرة الاحصائية الاسبانية).

لقد أصبح من المستحيل إيقاف الهجرة السرية نظرا للبطالة المتزايدة في دول الجنوب، وكذا اتساع الهوة بين دول الشمال ودول الجنوب. بالإضافة الى الاغراءات الكبرى المقدمة في دول الشمال. ثم تطور الشبكات المنظمة في مجال الهجرة السرية بالخصوص. ادى اصرار المترشحين ومغامراتهم الى حدوث كوارث بشرية في البحر المتوسط. بعضهم استطاع الوصول الى الضفة الشمالية للمتوسط بسلام والبعض الاخر غرق في البحر او القي عليه القبض قبل الوصول. حسب امحمد لزعر "خلال سنة 2001 تم إيقاف وطرده اكثر من 21000 مهاجر مغربي سري من طرف الشرطة الاسبانية. مقابل 15195 مهاجر مغربي سري سنة 2000". (امحمد لزعر، 2008). خلال السنين الاخيرة ظهرت بشكل جلي هجرة القاصرين غير المرفقين، ففي 2009، وصل عددهم 900 طفل مغربي. في سنة 2007، وصل 2410 مهاجر قاصر، منهم 1252 من اصل مغربي، الى السواحل الاسبانية عبر قوارب الموت" جريدة المساء 2009/10/02.

ان تطور المهاجرين السريين المغاربة في اتجاه الاتحاد الاوربي هو وليد التباينات على مستوى النمو الاقتصادي بين المغرب وهاته الدول. مما ادى بالاقتصاد المغربي عدم قدرته على خلق فرص شغل كافية نسبيا ، مما ادى ارتفاع نسبة البطالة ومشاكل اجتماعية مختلفة. في ظل هذه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب، فان الهجرة السرية مرشحة للارتفاع، وان الشباب المغربي سيغامر بحياته من اجل تحقيق طموحاته. لذا على الحكومة المغربية ان تتخذ بجدية مسالة التنمية الاقتصادية والاجتماعية حتى يتمكن المواطن المغربي من ايجاد كل متطلبات العيش الكريم.

جدول رقم 4 : توزيع الجالية المغربية بالدول العربية والافريقية والامريكية.

الدول	1993	2007	الدول	1993	2007
الجزائر	54576	80000	افريقيا الجنوبية	600	832
العربية السعودية	9000	28000	ساحل العاج	1060	1971
الامارات العربية المتحدة	2992	13040	الغابون	229	832
ليبيا	102413	120000	السنغال	544	1900
تونس	20000	26000	باقي الدول الافريقية	288	920
باقي الدول العربية	6036	14591	المجموع	2721	6455
المجموع	195017	281631	كندا	45000	60000
			الولايات المتحدة	25000	100000
			باقي دول امريكا	70000	1216
			المجموع	140000	161216

منذ استقلال المغرب الدولية في تصاعد مستمر، اذ بلغ عدد المهاجرين المغاربة في مختلف انحاء العالم اكثر من 3 ملايين شخص. ونشير الى ان هناك تباينات كبيرة على مستوى توزع هذ الجالية المغربية في مختلف دول الإقامة. اكثر من 83 % منهم مستقرة باوربا الغربية، و 11% مقيمة بالدول العربية، و 5% استقرب بامريكا الشمالية، واخيرا 0.3% في باقي العالم. هذا التوزيع المتباين يعود الى العوامل التاريخية والاقتصادية والاجتماعية وكذا القرب الجغرافي.

خاتمة

شهدت الهجرة الدولية المغربية تحولات وتغيرات عميقة منذ الربع الاخير من القرن الماضي الى وقتنا الحاضر. فقد تحولت من هجرة فردية الى هجرة عائلية، ومن هجرة مؤقتة الى هجرة نهائية ودائمة. وتحولت كذلك من هجرة العمال من صنف الذكور الى هجرة شملت كل الفئات العمرية من كلا الجنسين. كما تحولت الهجرة من هجرة قانونية منظمة الى هجرة غير قانونية او سرية. كما تحولت الهجرة من هجرة يد عاملة ذات تأهيل ضعيف بل بدون تأهيل الى هجرة كفاءات. امام هذه الرغبة القوية للوصول الى تراب الاتحاد الاوربي وضعت مختلف هذه الدول المستقبلية اجراءات وسياسات للحيلولة دون دخول مهاجرين جدد الى ترابها. من هنا يمكن القول بان مبدأ وفلسفة العولمة لم يطبق في جميع جوانب، بل قامت الدولة المتقدمة بتطبيق العولمة في يخدم مصلحتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ففي المجال السياسي ساهمت العولمة في تدفق السلع المادية وغير المادية على المستوى العالمي وفي التخفيف من الحواجز الجمركية. وسهل إلغاء وتقليص الحدود الداخلية والدولية انتقال رؤوس الأموال وتوسع التجارة وتنقل في بعض المجالات الاقليمية، كما الشأن داخل الاتحاد الاوربي. لكن بقيت الهجرة خاصة بين دول الشمال ودول الجنوب تعرف مراقبة شديدة وعملية انتقائية جد دقيقة. ولكن بفعل تفاقم الهوة على مستوى النمو الاقتصادي بين الدول الغنية والفقيرة ازداد عدد المهاجرين القانونيين والسريين، بشكل لم يكن له مثيل. ونشير الى ان التقدم على مستوى وسائل النقل والاتصال ساهم بشكل كبير في الحركات الهجرة عبر ارجاء المعمور.

المراجع

- روجي لوطورنو 1986 : فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت.
- عبد اله البارودي ، 1978 : المغرب الامبريالية والهجرة. دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- محمد حمجيق: : الانعكاسات السوسيواقتصادية والمجالية للهجرة الدولية بمدينة فاس. كلية الاداب والعلوم الانسانية فاس
ظهر المهرز، دفاتر جغرافية – العدد 5.
- Fadloulah (A) 1996 : l'émigration maghrébine de l'enroulement forcé à l'enracinement volontaire, In Migration internationale, CERED .
- Oitivia (s) 1992 : dix ans d'immigration marocaine en Italie, un premier bilan (1981-1991). In revue Maroc Europe, regard croisé, ed. la porte, Rabat.
- Tadonnet (M), 2007 : Géopolitique des migrations, la crise des frontières. Ed. ellipses, Paris.
- Brachet (J), 2007 : Un désert cosmopolite. Migration de transit dans la région de d'Agadez (sahara Nigérien) ; Thèse de doctorat, Université de Paris 1 Panthéron-sorbonne.
- Simon (G), 2008 : La planète migratoire dans la mondialisation. Ed. Armond Colin, Paris.
- Ministère chargé de la communauté marocaine à l'étranger : Etude sur la contribution des Marocains Résident à l'Etranger au développement économique et social du Maroc. Juin 2009.
- Fondation Hassan II pour les marocains résidant à l'étranger.
- Naim (M), 2008 : la communauté marocaine en France : tendance à une émigration définitive. Cahiers Géographiques, n° 5, Fés.

- Naim (M), 2010 : Le phénomène migratoire international au Maroc. Rapport scientifique de l'habilitation, FLSH Sai-Fés.
- Naim (M), 2010 : Les flux migratoires marocains vers l'Espagne : Destination alternative. Colloque international FLSH, Agadir.
- Lazaar (M), 2008 : Les Marocains d'Espagne : éternellement des « Mors ». Cahiers Géographiques, n° 5, Fés.